بلاغة الاستفهام في سورة التوبة

د / آمنة على عثمان
مدرس البلاغة بالكلية

الحمد لله الذى علم الانسان أصول البيان ، ومنحه الادراك والعرفان ، وميزه بعطائه الفكرى عن الحيوان ، وسخر له كل ما فى الأكوان ، وفضله على كثير مما خلق تفضيلا •

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد الرسول الأمين الذى أوتى الحكمة وجوامع الكلم ، وعلى آله الهادين ، وأصحابه الغر المحجلين ، الذين اتبعوه وآمنوا بما جاء به فآزروه ونصروه على نشر دعوته بين العالمين ، فكانت لهم الزلفى عند أكرم الأكرمين ، ونالوا الرضى من أحكم الحاكمين •

وبعد •••

فتراثنا الاسلامى جدير بالبحث والاهتمام ، والحديث عن بلاغة القرآن الكريم حديث شائق وممتع ، خاصة وأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، وقد حظى بدراسات متعددة فى محيط البلاغة العربية،حيث تشعبت البحوث فى استخراج كنوزه واستنباط درره •

★ وقد كان لى شرف المشاركة فى هذه الحركة الدائمة التى لا تنقطع ان شاء الله تعالى ، فاخترت هذا الموضوع : « بلاغة الاستفهام فى سورة (التوبة) » •

وقد بدأت البحث بتعريف السورة من حيث مدنيتها والسنة التى نزلت فيها وعدد آياتها ، وعلة تسميتها ، ومناسبتها بما قبلها ، والهدف منها •

ثم تحدثت عن الاستفهام من حيث تعريفه ، وذكر ألفاظه ، وتقسيماتها حسب ما تؤديه ومغزاها ، وخروج هذه الألفاظ الى معان بلاغية مجازية تفاد من السياق وقرائن الأحوال ، ومدى انطباقها على تلك السورة الكريمة •

* وقد اشتمل هذا البحث على عدة معان منها :

الانكار وصوره من توبيخى ، وانكار تعجبى ، وانكار تهكمى ، والتقرير،والتعجب والعتاب ، والنهى ••• وغير ذلك •

* وكان المنهج فى هذا البحث هو :

عند عرض المعانى المجازية للآيات راعيت الترتيب فى ذكرها كما هى مذكورة فى الكتاب الكريم •

أما ذكر المعنى فقد جعلت له عنوانا رئيسا فى وسط الصفحة مسبوقا برقم حسابى وقبل الحديث عن المعنى المجازى ، وأهميته للآية أو الأسلوب أشرت الى السياق والمقام الذى ورد فيه ومدى احتياج هذا السياق الى هذا الأسلوب فى الكشف عن جوهر المعنى •

ثم ذكرت آراء المفسرين فى المعنى الذى خرج اليه التركيب ، وكذلك البلاغيين ان وجدت ، ومدى التأثر والتأثير فى كل آية وأهميتها •

★ وقد استعنت فى علاج هذه الأساليب بالأصول من كتب التراث البلاغى والقرآنى ثم ذيلت البحث بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع •

وانى لأرجو الله تعالى أن أكون قد أسهمت بهذه الدراسة المتواضعة فى اضافة لبنة أخرى الى صرح الدراسات التطبيقية للبلاغة القرآنية •

والله أسأل أن يوفقنى •• وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب •

نبذة وجيزة عن هذه السورة الكريمة « التوبة » :

هذه السورة من السور المدنية ذات شأن عظيم فى القرآن الكريم حيث تعنى بجانب التشريع ، وهى من أواخر ما نزل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند مرجعه من غزوة تبوك ، وكان نزولها فى السنة التاسعة من الهجرة ، وهى السنة التى خرج فيها رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لغزو الروم ، واشتهرت بين الغزوات النبوية بغزوة تبوك ، وكانت فى حر شديد وسفر بعيد .

وتشتمل على تسع وعشرين ومائة آية .

وسميت هذه السورة « سورة التوبة » لما فيها من توبة الله على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم .

كما أن لهذه السورة أسماء أخرى كثيرة منها : « براءة ، المقشقشة ، المبعثرة المشردة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، وسورة العذاب » .

صلتها بما قبلها :

ذكرت سورة التوبة بعد سورة الأنفال لما سبق من أنهما يعدان كسورة واحدة تتم السبع الطوال .

فالمتأمل : لسورة الأنفال والتوبة يجد بينهما صلة وثيقة وعلاقة وطيدة ، لأن كلتا السورتين نزلتا فى القتال ، وأنهما دعامتا النظام العسكرى فى الاسلام ، فبينها اتحاد فى الهدف ، وأن القضايا المذكورة فى السورتين ذات أهمية .

ولذا يقول أحد المفسرين : « جاءت سورتا الأنفال والتوبة تعالجان بعض النواحى الحربية التى ظهرت اثر الغزوات ، وقد تضمنتا كثيرا من التشريعات الحربية والارشادات التى يجب على المؤمنين اتباعها فيما بينهم بعضهم وبعض ، وفيما بينهم وبين المحاربين والمسالمين »(١) .

وذهب أيضا كثير من الصحابة الى أنهما سورة واحدة .

وجعل هذا هو السبب فى ترك التسمية فى أول هذه السورة .

ومما يذكر فى المناسبة بين السورتين أن سورة الأنفال ذكرت فيها العهود وسورة التوبة ذكر فيها نبذ العهود .

وأن سورة الأنفال ختمت بغرض الموالاة بين المؤمنين وقطعها بينهم وبين الكفار ، وقد افتتحت بهذا سورة التوبة .

وان قصة سورة التوبة تشبه قصة سورة الأنفال لأن كلا منهما نزل فى القتال(٢) .

ولما كان المقام فى هذه السورة الكريمة مقام الحديث عن القتال والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وما أدى ذلك الى كشف الغطاء عن فتن المنافقين ، وما انطوت عليه قلوبهم من أحقاد تجاه الاسلام والمسلمين .

---

(١) تفسير القرآن الكريم . الأجزاء العشرة الأولى ٥١٥ . الامام الأكبر : محمود شلتوت ط الثامنة ـ دار الشروق .

(٢) النظم الفنى فى القرآن ١٣٨ . تأليف د/ عبد المتعال الصعيدى المطبعة النموذجية .

جاء هذا الأسلوب « الاستفهام » متكرا ، ومتهكما ، ومتعجبا ... الخ • من موقف المنافقين وغيرهم تجاه الغزو فى سبيل الله تعالى •

وما استقر فى قلوبهم من النفاق الذى أورثهم بغض الجهاد •

وبالتالى : كان هدفى التحليل البلاغى لهذا الأسلوب ، وبيان مقاماته وتتبعها واحدا واحدا واظهار أثرها فى تصوير نفوس الخاطبين والمخاطبين •

معنى الاستفهام :

فى اللغة : طلب الفهم •

ففى لسان العرب : « استفهمه : سأله أن يفهمه ، وقد استفهمنى الشىء فأفهمته وفهمته تفهيما »(٣) •

« وفى هذا التعريف اشارة الى أن السين والتاء فى الاستفهام للطلب أى طلب الفهم ، وأن الفهم هو العلم ، لأن الحصول هو الادراك »(٤) •

وعلى ضوء المعنى اللغوى للاستفهام ، هناك من لا يرى فرقا بين الاستفهام والاستخبار •

---

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/٣٤٨١ مادة (فهم) طبع دار المعارف

(٤) حاشية الدسوقى ٢/٢٤٦ « على شروح التلخيص » دار السرور

* وفى ذلك يقول الامام الزركشى :

« الاستخبار هو الاستفهام .. وهو طلب خبر ما ليس عندك ، وهو بمعنى الاستفهام أى طلب الفهم »(٥) .

★ وفرق أحد العلماء بين الاستفهام والاستخبار ، حيث جعل الاستفهام مرتبة تالية للاستخبار .

★ وذلك أن أولى الحالين للاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشىء فربما فهمته وربما لم تفهمه ، فاذا سألت ثانية فأنت مستفهم .

تقول : أفهمنى ما قلته لى(٦) .

★ ويرى بعض الأقدمين أن هناك فرقا بين الاستفهام والسؤال .

فالاستفهام طلب علم ما لا يعلمه المستفهم ، أو ما يشك فيه .

أما السؤال ، فقد يكون طلب علم ما يعلمه أو ما لا يعلمه .

يقول أبو هلال العسكرى :

« الفرق بين السؤال والاستفهام ، أن الاستفهام لا يكون الا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه ، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعن ما لا يعلم ، فالفرق بينهما ظاهر »(٧) .

---

(٥) البرهان فى علوم القرآن ٢/٣٢٦ ق : محمد أبو الفضل ابراهيم ط : الثالثة دار التراث .

(٦) الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس ٢٩٢ ، ق : السيد أحمد صقر . طبع : عيسى الحلبى

(٧) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ٢٥ . ق/ حسام الدين القدسى . طبع بيروت .

وفى الاصطلاح هو : « طلب حصول صـــورة الشيء فى الذهن فان كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق والا فهو التصور »(٨) •

وله أدوات خاصة : « الهمزة ، هل ، ما ، من ، أى ، كم ، كيف ، أين ، أنى ، متى ، أيان » •

وتنقسم هذه الأدوات بحسب المستفهم عنه الى ثلاثة أقسام :

١ ــ ما يطلب التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهى «الهمزة»

٢ ــ ما يطلب بها التصديق فقط وهى « هل » •

٣ ــ ما يطلب بها التصور فقط وهى بقية أدوات الاستفهام(٩)•

صيغه ومعانيه المجـــازية :

تخرج أدوات الاستفهام عن معانيها الحقيقية الى معان وأغراض بلاغية تفاد من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال •

لأن ألفاظ الاستفهام هذه اذا استعملت فى غير معانيها الأصلية فانها تعطى الكلام حيوية وتزيد الاقناع والتأثير به •

وذلك لمـــا فى هذا الاستعمال من اثارة للسامع وجذب لانتباهه•

ومن اشراكه فى التفكير ، ليصـــل بنفســـه الى الجواب دون أن يملى عليه •

---

(٨) شرح السعد ٢٤٦/٢ « ضمن شروح التلخيص » دار السرور

(٩) مواهب الفتاح لابن يعقوب ج ٢ بتصرف ٢٤٨ : ٢٥٣ « على شروح التلخيص » •

والمنهج فى هذا البحث : منصب على دراسة أسلوب الاستفهام فى حيز هذه السـورة « التوبة » وبيان مواقعه ومقـاماته وأسراره البلاغية • دراسة ترتكز على قاعدة النظم التى تظهر المعنى مستمدا من منابعه فى السياق والمقام •

(الصيغة الأولى : « الانكار وصوره »)

الاستفهام الانكارى بأنواعه يحتـل مكانة عظيمة فى القـرآن الكريم ، لأن فى أكثره يخاطب سبحانه وتعالى الكفار والمشركين على سبيل التوبيخ والتقريع ، والتعبير والتهكم من أفعالهم ، لذلك فهو أبلغ أثرا وأوقع فى النفس من بقية المعانى الأخرى •

ومن هنا : كان هذا النوع من الاستفهام له ركن كبير فى دعوة القرآن الكريم الذى نزل هداية للبشر •

والاستفهام الانكارى هو : « انشاء لفظا خبر معنى ، وهو مجاز مرسل علاقته اللزوم فالاستفهام عن الشىء يستلزم جهله وجهل الشىء يستلزم انكاره ونفيه »(١٠) •

ان هذا النفى : « اذا كان نفيـا لوقوع أمر فمـؤداه أن الأمر لا يقع ولا يعقل أن يقع فهو نفى مؤكد ، اذ ليس نفيا للعمل فقط بل هو نفى له مع بيان أنه لا ينبغى ولا يجوز أن يقع ، واذا كان الفعل قد وقع فهو توبيخ على الوقوع واستنكار له »(١١) •

---

(١٠) دلائل الاعجاز /١٤٦ ق د/ محمد عبد المنعم خفاجى • القاهرة

(١١) القرآن ، المعجزة الكبرى /٢١٤/ • تاليف الشيخ / محمد أبو زهرة • مطبعة : دار الفكر العربى •

من مزايا الاستفهام الانكارى :

ان أسلوبه يشعر بثقة المتكلم واطمئنانه لا يخشى تكذيبا ولامخالفة لايهامه أن السامع أعلم منه بحقيقة الأمر ، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظـاهر •

وبالتالى : فهو يعطى فرصة للمخاطب أن يراجع نفسه ليخجل ويرتدع ويعلم أنه مخطىء •

ونلاحظ أن الانكار : سـواء أكان انكارا للوقـوع بمعنى النفى أم انكارا للواقع بمعنى التـوبيخ ، تنطوى وتندرج تحتـه أغراض فرعية ، صور كثيرة تناسب حال المخاطب •

ومن هذه الصور ما يلى :

الصورة الأولى : « الانكار الابطالى أو التكذيبى » :

ومعناه فى الماضى : « لم يكن » وفى المضارع « لن يكون » •

وبالبحث والتنقيب وجدت أن تلك السورة الكريمة لم تشـتمل على هذا النوع من الانكار •

الصورة الثانية : « الانكار التوبيخى » :

وهذه الصورة لها ضربان :

(أ) اما توبيخ على فعلوقع فى الماضى بمعنى (ما كان ينبغى)

(ب) واما تـوبيخ على فعـل سـيقع فى المضـارع بمعنى (لا ينبغى أن يقع) •

واليك الآيات التى تندرج تحت هذا النوع من «الانكار التوبيخى» :

١ ــ قال تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون »(١٢) .

يقول النسفى : « فى هذه الآية الكريمة وبخ الله عباده المؤمنين على وجود لديهم وهو اعتقادهم بأنهم سيتركون دون اختيار ولا امتحان ولا ابتلاء حتى يعرف المؤمن من المنافق ، والصادق منهم من الكاذب » .

اذا : فاللوم والتوبيخ على وجود الحسبان بمعنى « لا ينبغى » أى لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يبين المخلصين منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله ولوجهه تعالى(١٣) .

يقول الشهاب فى قوله : « أم حسبتم » أم منقطعة بمعنى « بل » والهمزة للتوبيخ أى توبيخهم على الجبن »(١٤) .

والى هذا المعنى أشار أبو السعود فقال :

« أم » : منقطعة جىء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ

---

(١٢) سورة التوبة آية ١٦ .

(١٣) تفسير النسفى ٢/١١٩ . دار احياء الكتب العربية . أساليب النفى فى القرآن الكريم /١١٩ دار المعارف .

(١٤) حاشية الشهاب ٤/٣٠٩ « على تفسير البيضاوى » دار صادر بيروت .

السابق الى آخر والهمزة المقدرة مع « بل » للتوبيخ على الحسبان المذكور أى بل حسبتم وظننتم »(١٥) .

من هذا يرى : أن الهمزة فى « أم » خرجت عن معناها الحقيقى الى غرض بلاغى « الانكار التوبيخى » بمعنى « لا ينبغى » حيث أنكر سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين تكاسلهم عن الجهاد فى سبيل الله .

ووبخهم على ظنهم بأنهم سيتركون دون أن يبلوهم الله بقتال المشركين وغزوهم ودون أن يختبرهم فى ايمانهم حتى يتبين المخلص فى ايمانه من غيره .

٢ ــ قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين »(١٦) .

يقول النسفى فى قوله : « أجعلتم » استفهام انكارى بمعنى انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم ، وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر ، لأنهم وضعوا المدح والفخر فى غير موضعهما(١٧) .

وقد اتفق معه فى ذلك الآلوسى الا أنه حلل هذا المعنى تحليلا

---

(١٥) ارشاد العقل السليم ٢/٣٩٠ . دار طباعة الجمعية العلمية ــ روح المعانى للألوسى ١٠/٥٧ . ادارة الطباعة المنيرية بمصر

(١٦) سورة التوبة اية ١٩ .

(١٧) ارشاد العقل السليم ٢/٣٩٣ .

دقيقا فقال فى قوله « أجعلتم » الخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات ، واما لبعض المؤمنين المؤثرين بالسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ... ونظائرهما ، والأول أرجح فهو توبيخ للمشركين ، ومداره على انكار تشبيه أنفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد(١٨) .

وعقب على ذلك أحد علماء البلاغة قائلا :

« ان أقرب ما يفسر المراد من الاستفهام هنا هو أنه « للانكار والتوبيخ » ويتأكد هذا المعنى اذا أخذنا بالرأى القائل ، ان المخاطب بقوله « أجعلتم » هم فريق من المشركين ، فسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام منهم عمل لا وزن له مع الكفر الذى هم عليه فكأنهم سووا بين الظلمة والنور أو بين لا شىء وبين كل شىء »(١٩) .

الجهاد فى سبيل الله ملازم للايمان به سبحانه وتعالى،فلا يجوز للمؤمن التنصل منه بالعلل الواهية ، كانشغاله مثلا .. بسقاية الحاج ، فالمؤمنون حقا يهديهم ايمانهم الى الجهاد ، بخلاف غيرهم من المشركين .

ولذا يقول بعض علماء البلاغة :

(فى قوله « أجعلتم » انكار على من جعل حرمة الجهاد كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر ، وفى ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال

---

(١٨) روح المعانى للآلوسى ١٠/٦٠

(١٩) التفسير البلاغى للاستفهام ١/٤٤ د. عبد العظيم المطعنى . المكتبة التوفيقية . القاهرة .

المؤمن بالايمان وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته بالقياس)(٢٠) .

يفهم من ذلك أن : همزة الاستفهام فى قوله « أجعلتم » خرجت عن أصل وضعها الى غرض بلاغى « الانكار التوبيخى » بمعنى « لا ينبغى » أى توبيخ المشركين على ما يكنونه من هذا الاعتقاد ، وهو الافتخار بالسقاية .

والمفروض يكون الافتخار بالايمان بالله تعالى ، وبالجهاد فى سبيله وما شابه ذلك ، هذا اذا كان الخطاب للمشركين ، أما اذا كان الخطاب للمؤمنين فهو توبيخ أيضا ، ويكون المعنى لا ينبغى أن تجعلوا أهل السقاية والعمارة فى الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر .

٣ ــ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »(٢١) .

وفى هذه الآية الكريمة أكثر من استفهام : الأول « ما » فى قوله « مالكم » ... والثانى « الهمزة » فى قوله « أثاقلتم » وقوله « أرضيتم » .. وسنتناول كل استفهام على حده .

---

(٢٠) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى ١٧٥ . تحقيق د/ محمد خلف الله ، د/ محمد زغلول . طبعة : دار المعارف

(٢١) سورة التوبة اية ٣٨ .

الاستفهام فى قوله « مالكم » :

يقول القرطبى : « فى قوله « مالكم » ما : حرف استفهام معناه التقرير والتوبيخ والتقدير : أى شىء يمنعكم عن كذا »(٢٢) •

ويقول أبو السعود : فى قوله « مالكم » الاستفهام للانكار والتوبيخ »(٢٣) •

الاستفهام فى قوله « أثاقلتم » :

يقول الزمخشرى : « قرىء تثاقلتم أى تباطأتم وتقاعستم • وقرىء « أثاقلتم » على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ(٢٤)

والى هذا المعنى أيضا أشار القرطبى فقال :

« قوله « أثاقلتم » توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة الى الخروج وهو نحو من أخلد الى الأرض »(٢٥) •

والسياق العام للآية يوحى بجانب توبيخ المؤمنين حثهم وتقوية عزائمهم على قتال المشركين •

ولذا يقول زاده : « انه تعالى لما ذكر فضائح الكفار عاد الى الترغيب فى مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين »(٢٦) •

---

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/١٤٠ دار الشعب • القاهرة

(٢٣) ارشاد العقل السليم ٢/٤٠٧ ـ روح المعانى للآلوسى ١٠/٨٤

(٢٤) الكشاف ٢/١٨٩ •

(٢٥) الجامع لأحكام القرآن ٨/١٤٠ •

(٢٦) حاشية زادة ٢/٣٣٢ « على البيضاوى » المكتبة الاسلامية •

يقول أحد علماء البلاغة : « اذا كانت همزة « أثاقلتم » مقطوعة فهى همزة استفهام وتكون جملة «أثاقلتم الى الأرض» انكارا جديدا.

ودلت على الحال المحذوفة والتقدير : « ما لكم تثاقلون اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله »(٢٧) .

الاستفهام فى قوله « أرضيتم » :

يقول الطبرسى : « فى قوله « أرضيتم » استفهام يراد به الانكار .. ومعناه : آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية فى النعيم الدائم »(٢٨) .

يقول الشيخ : « فى قوله « أرضيتم » الاستفهام للتوبيخ والتعجيب »(٢٩) .

والى هذا المعنى أيضا أشار أحد المفسرين قائلا :

« الاستفهام فى قوله « أرضيتم » انكار آخر لتباطئهم عن الجهاد وتعجب من ركونهم الى الدنيا مع أن ايمانهم يتنافى مع ذلك »(٣٠) .

---

(٢٧) أساليب الاستفهام فى القرآن الكريم /١٣٥ . د/ عبد العليم فودة . دار الشعب ـ القاهرة .

(٢٨) مجمع البيان . المجلد الثالث ٦٢ . دار مكتبة الحياة

(٢٩) حاشية الصاوى ١٢٨/٢ « على تفسير الجلالين » الطبعة الأخيرة فتح البيان فى مقاصد القرآن /١٢٩ . مطبعة العاصمة بالقاهرة .

(٣٠) تفسير الدكتور / محمد سيد طنطاوى ١٥٢ ، ١٥٣ .

استنادا الى ما سبق من آراء نقول ان :

الاستفهام الكائن فى هذه الألفاظ «مالكم ، أثاقلتم ، أرضيتم» .. خـــرج فى تلك الآية الكريمـــة عن أصل وضـــعه الى غرض بلاغى «الانكار التوبيخى» بقصد توبيخ المؤمنين وعتابهم على التقاعد بمعنى لا ينبغى أن تتثاقلوا أيها المؤمنون عن الخروج للجهاد فى سبيل الله .

ولا ينبغى أيضا : أن تؤثروا متاع الدنيا ولذائذها الزائلـــة على متاع الآخرة ونعيمها الدائم،لأن هذا يتنافى مع ايمانكم وقوة عقيدتكم مما يدعوكم الى التعجب من فعلكم .

٤ ــ قال تعالى : « ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جنهم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم »(٣١) .

« فى قوله « ألم يعلموا » استفهام معناه التوبيخ والانـــكار للمنافقين ، ويحتمل أن يكون خطابا للمؤمنين فيكون معنى الاستفهام « التقرير » وان كان خطابا للرسول فهو للتعظيم والاستفهام فيـــه للتعجب والتقدير : ألا تعجب من جهلهم فى محادة الله تعالى »(٣٢).

والخطاب فى هذه الآية الكريمة اما للمنافقين واما للمؤمنين كل على حسب القراءة حيث قال الشيخ زادة : « قرأ الجمهور بياء الغيبة ردا على المنـــافقين « يعلموا » وقرىء « تعلموا » بتاء الخطـــاب اما على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للمنافقين فيكون الاستفهام للتقريع والتوبيخ على عـــدم علمهم بذلك مع طول مكث رســـول الله

---

(٣١) سورة التوبة آية ٦٣ .

(٣٢) البحر المحيط لأبى حيان ٥/٦٤ ــ مكتبة النصر الحديثة .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم وتحـذيره اياهم عن معصـية الله ، وترغيبهم فى طاعته ، واما الخطاب للمؤمنين على طريق الاستفهام التقـريرى »(٣٣) .

وقـد ذهب بعض المفسرين الى أن الخطـاب فى هـذه الآية للمنافقين فقط حيث قالوا :

« معنى قوله « ألم يعلموا » أى أولئك المنافقون ، والاستفهام للتـوبيخ على ما أقدموا عليـه من ذنوب مع علمهم بسـوء عاقبتها وقرىء بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ »(٣٤) .

وخلاصة هذه الآراء نقول :

الضمير فى قوله « ألم يعلموا » يرجع الى المنـافقين ، وبهذا خرج الاستفهام « الهمزة »فى قوله « ألم » الى غرض مجازى .

« الانـكار التوبيخى » بقصـد التوبيخ للمنافقين وتقـريعهم والتشنيع بهم وانكار فعلهم عليهم حيث غاب عن علمهم أنه من يعادى الله ورسوله فان له نار جهنم وعذابا دائما ، لذلك اقترفوا من الذنوب والآثام ما اقترفوا فما كان ينبغى لهم أن يفعلوا كل ذلك .

٥ ـ قال تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون »(٣٥) .

---

(٣٣) حاشية زادة ٢/٣٤٠ .

(٣٤) ارشاد العقل السليم /٤٢٢ . روح المعانى /١١٥ . فتح البيان فى مقاصد القرآن ص ١٥٥ .

(٣٥) سورة التوبة آية ٦٥ .

فى هذه الآية الكريمة : لم يعبأ عليه الصلاة والسلام باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا بأخطائهم »(٣٦) .

ويقول الرازى : « الاستفهام فى هذه الآية يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزاء فى الله تعالى »(٣٧) .

والى هذا المعنى أشار أيضا الشيخ زاده بشىء من التوضيح ، فقال:« أمر سبحانه وتعالى بذلك كأنه قال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تعبأ باعتذارهم الكاذب بقولهم (انما كنا نخوض ونلعب) وقل لهم انكم أقدمتم على الاستهزاء بمن لا يصح الاستهزاء به ، وفرق بين أن يقال أتستهزىء بالله ، وأبالله تستهزىء فان الأول : يقتضى الانكار على ملابسة الاستهزاء .. والثانى : يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزاء »(٣٨) .

ويؤخذ من ذلك أن :

الاستفهام « الهمزة » فى قوله (أبالله) خرج عن حقيقته الى غرض بلاغى و « الانكار التوبيخى » بمعنى « ما كان ينبغى » بقصد توبيخ هؤلاء المنافقين وتقريعهم على استهزائهم بآيات الله المجيدة وتعاليمه السمحة وما أنزل على رسوله الصادق الأمين ،

---

(٣٦) تفسير النسفى /١٣٤ .

(٣٧) التفسير الكبير ١٦/١٢٣ . ط : الثانية دار الكتب العلمية . طهران .

(٣٨) حاشية زادة ٢/٣٤١ .

فما كان ينبغى لهم أن يفعلوا ذلك لأن هذا منكر وشىء عجيب لايصدر الا عن كفر وجهل وعقل مريض •

٦ ــ قال تعالى : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجــواهم وأن الله علام الغيوب »(٣٩) •

« فى قوله (ألم يعلموا) استفهام يراد به التوبيخ والتقريع وقرىء « تعلموا » بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير أنه تعــالى فاضح المنــافقين ومعلم المؤمنــين أحــوالهم التى يكتمونها شيئا فشيئا »(٣٩) •

ويفيد هذا الاستفهام أيضا بجانب التوبيخ والتقريع ، التنبيــه والتقرير •• ولذا يقول صاحب المنار :

« فى قوله « ألم يعلموا » التنبيه القاطع لطريق الاعتــذار فان المنافقين كانوا يؤمنون بوجود الله وعلمه ايمانيا اجمــاليا تقليديا ، وكانوا يرتابون فى الرسالة والوحى والبعث »(٤١) •

ومن هذا نرى أن : « الاستفهام » الهمزة فى قوله « ألم » خرج عن أصل وضــعه الى غرض مجــازى « الانكار التوبيخى » بمعنى « ما كان ينبغى » أى ما كان ينبغى للمنافقين أن يأتوا ما أتوا به من

---

(٣٩) سورة التوبة آية ٧٨ •

(٤٠) البحر المحيط ٥/٧٥ •

(٤١) تفسير المنار ، المجلد الخامس ١٠/٤٨٤ • الهيئة المصرية العامة للكتــاب •

الذنوب والمعاصى مع علمهم بأن الله تعالى مطلع على كل تصرفاتهم، وفى ذلك التقرير والتنبيه بأنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم على أعمالهم السيئة فلا يستحقون الا الانكار على فعلهم والتوبيخ والتقريع من شأنهم .

٧ ــ قال تعالى : « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون »(٤٢) .

يقول الرازى : « قرىء بالتاء على أن الخطاب للمؤمنين أى « أو لا ترون » ... ، والمعنى : ان المؤمنين نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر .

وقرىء بالياء «أو لا يرون» والمعنى : تقريع المنافقين بالاعراض عن الاعتبار بما يحدث فى حقهم من الأمور الموجبه للاعتبار »(٤٣) .

وقيل « الهمزة فى « أو لا يرون » للانكار والتوبيخ »(٤٤) .

وأشار الآلوسى أيضا الى هذا المعنى قائلا :

« قوله «أو لا يرون» يعنى المنافقين والهمزة للانكار والتوبيخ .

وقرىء بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للمؤمنين ، والهمزة للتعجب أى أو لا يعلمون ، وقيل أو لا يبصرون »(٤٥) .

---

(٤٢) سورة التوبة آية /١٢٦ .

(٤٣) الفخر الرازى ١٦/٢٣٢ .

(٤٤) ارشاد العقل السليم ٢/٤٥٦ .

(٤٥) روح المعانى ١١/٤٦ .

ومن هنا يقال ان : « الاستفهام «الهمزة» فى قوله «أو لا يرون» خرج عن معناه الحقيقى الى غرض مجـازى « الانكار التوبيخى » بمعنى « ما كان ينبغى » بقصد توبيخ المنافقين على قسوة قلـوبهم وانطماس بصيرتهم ، فما كان ينبغى أن يحـدث منهم هذا التغـافل وعـدم الندم والاستغفار على ما صـدر منهم ، وفى تغافلهم هذا ما يدعو الى التعجب •

فبـدلا من أن يذكروا أمر ربهم ويتـوبوا اليـه ، ازدادوا فى كفرهم وعصـيانهم •

الصورة الثالثة : « انكار تعجبى » :

١ ــ قال تعالى : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعنـد رسـوله الا الذين عـاهدتم عند المسجد الحـرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين »(٤٦) •

يقـول النسفى :

« الاستفهام بـ « كيف » استفهام فى معنى الاستنكار ، أى مستنكرا أن يكون لهـؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحـدثوا به نفوسكم • ولا تفكروا فى قتلهم »(٤٧) •

وقد اتفق معه فى هذا المعنى الزمخشرى حيث قال :

« الاستفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عند

---

(٤٦) سورة التوبة آية ٧ •

(٤٧) تفسير النسفى ١١٧/ •

ولا ينكثوه عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم أضداد وغرة صدورهم »(٤٨) .

وذهب فريق آخر من المفسرين الى أن هذا الاستفهام للانكار الذى يشوبه نوع من التعجب فقالوا :

« الاستفهام على وجه التعجب الذى معناه الجحد ، أى كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمار الغدر والنكث »(٤٩) .

وقيل : « ان هذا الاستفهام « كيف » معناه التعجب والاستنكار والإستبعاد »(٥٠) .

وجاء أيضا : « الاستفهام فى قوله « كيف » للانكار المشوب لمعنى التعجب »(٥١) أو للتعجب المتضمن للانكار(٥٢) .

وخلاصة هذه الآراء أن :

الاستفهام بـ « كيف » خرج فى تلك الآية الكريمة عن حقيقته الى معنى مجازى فلا يقصد بـ « كيف » السؤال عن الحال وانما يقصد بها غرض بلاغى هو « الانكار التعجبى » أى : انكار أن يكون لهؤلاء المشركين عهد دائم فى المستقبل مع المؤمنين فالانكار ليس

---

(٤٨) الكشاف /١٥٧ ، ١٧٦ .

(٤٩) أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوى /١٩١ ط : الأولى .
مجمع البيان /٢٠ .

(٥٠) البحر المحيط ٥/١٢ .

(٥١) تفسير المنار ، المجلد الخامس ١٠/١٦٤ .

(٥٢) فتح البيان /٨٤ .

على وقوع العهد ، لأن العهد وقع وانعقد باذن من الله تعالى • وانما الانكار على دوامه مستقبلا لأن المشركين ليسوا أهلا لذلك فهم ناكثون غادرون حاقدون لا أمن ولا أمان لهم ، فهو استنكار للمبدأ في ذاته واستبعاد له من أساسه وتعجب من عهدهم هذا ومن أن المؤمنين يأمنون لهم ولو لبعض الوقت مع علمهم بغدرهم وخيانتهم •

٢ ــ قال تعالى : « كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون »(٥٣) •

في هذه الآية الكريمة « انكار تعجبي » في قوله « كيف » فقس على ما سبق •

الصورة الرابعة : « الانكار والتهكم » :

١ ــ قال تعالى : « واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون »(٥٤) •

هذه الآية الكريمة ذكرت أحوال المنافقين ومواقفهم العدائية تجاه المؤمنين وما نزل على سيد الخلق من القرآن الكريم •

يقول النسفي : « قوله : أيكم » انكار واستهزاء بالمؤمنين وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه »(٥٥) •

---

(٥٣) سورة التوبة آية ٨ •

(٥٤) سورة التوبة آية ١٢٤ •

(٥٥) تفسير النسفي /١٥١ •

والى هذا المعنى أشار الزمخشرى فقال : « قوله « أيكم » انكار واستهزاء بالمؤمنين لاعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل والعمل به »(٥٦) .

وقيل : فى قوله « أيكم » خطاب بعض المنافقين لبعض على وجه الانكار .. ، والاستهزاء بالمؤمنين »(٥٧) .

فهذه السورة لم تؤثر فى نفوس المنافقين ولم تنتزع الشك من قلوبهم بل زادتهم كفرا ورجسا .

ولذا يقول الشيخ زاده : « أجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزائهم بالمؤمنين فى اعتقادهم زيادة الايمان بالعلم الحاصل عن طريق الوحى فقال : حصل للمنافقين بسبب نزول هذه السورة أمران :

الأول : انما نزيدهم رجسا الى رجسهم .

الثانى : أنهم يموتون على كفرهم ، وهذا أقبح من الأول(٥٨) .

يفهم من ذلك أن : الاستفهام « أى » فى قوله « أيكم » خرج عن حقيقته الى غرض بلاغى « الانكار والتهكم » لأن المنافقين لا يطلبون جوابا حقيقيا ، وانما يريدون بذلك انكار أن يزيد نزول القرآن سامعيه ايمانا ، توهما منهم بأن ما لا يزيدهم ايمانا لا يزيد غيرهم .

---

(٥٦) الكشاف /٢٢٢ .

(٥٧) البحر المحيط ٥/١١٥ .

(٥٨) حاشية زادة /٣٦٠

وفي الوقت نفسه تهكم واستهزاء بالمؤمنين ، فهم منصتون لسماع القرآن مولعون بكل ما جاء به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ قال تعالى : « واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون »(٥٩) ٠

معنى قوله « هل يراكم ٠٠٠ » أى تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية قائلين : هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم(٦٠) ٠

ويقول الرازى :

« كلما نزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وشرح فضائحهم سمعوها وتأذوا من سماعها ونظر بعضهم الى بعض نظرا مخصوصا دالا على الطعن فى تلك السورة والاستهزاء بها وتحقير شأنها »(٦١)

والى هذا المعنى أشار البيضاوى فقال :

« الاستفهام فى قوله « هل يراكم » للانكار والسخرية والغيظ من السورة لما فيها من عيوبهم ويقولون هل يراكم أحد ان قمتم من حضرة الرسول،فان لم يرهم أحد قاموا وان يرهم أحد أقاموا »(٦٢) ٠

---

(٥٩) سورة التوبة /١٢٧ ٠

(٦٠) تفسير النسفى /١٥١ ـ البحر المحيط ٥/١١٧ « بتصرف »

(٦١) الفخر الرازى ١٦/٢٣٣ ٠

(٦٢) الفخر الرازى ١٦/٢٣٣ ٠

وقد ذهب أحد العلماء الى أن الاستفهام للتعجب حيث قال :

« ان جملة « هل يراكم من أحد » بيان لجملة « نظر بعضهم .. لأن نظر بعضهم الى بعض نظر تعجب واستفهام ، أى التعجب والشك فى أن يكون قد اطلع عليهم من يبوح بأسرارهم »(٦٣) .

وخلاصة هذه الآراء أن :

الاستفهام « هـل » فى هذه الآية خرج عن حقيقته الى غرض بلاغى ... « الانكار والتهكم » فهم منكرون حقيقة القرآن الكريم مستهزئون بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متهكمون بما أنزل عليه ينتابهم الغيظ لما جاء فى السورة من كشف مخازيهم متعجبون من اطلاع النبى عليه الصلاة والسلام على أسرارهم وذلك جهل منهم بنبوته عليه الصلاة والسلام . وأنه سبحانه يطلعه على ما يشاء من غيبه .

---

(٦٣) أسرار التأويل وأنوار التنزيل ٢٠٧ .

(٦٤) التحرير والتنوير ٦٨/١١ ، ٦٩ . الدار التونسية للنشر ـ تونس سنة ١٩٨٤م .

« الصيغة الثانية : « التقرير » »

التقـــــرير :

هو أحد المعانى البلاغية التى يخرج اليها الاستفهام عن حقيقته لغرض من الأغـراض التى يحددها المقـام ، ويقتضيها السـياق ، وقرائن الأحـوال .

ونحن كما نعلم أن بعض البلاغيين قد عرفوه وحددوه بأسـلوب بديع . ومنهم صاحب الجنى الدانى ، حيث قال :

« هو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه »(٦٥).

وهذا التقرير يكون لمعنيين :

أحدهما : التحقيق والتثبيت كقولك عند ارادة الانتقام أو اللوم والعزم على الشروع فيه لا على طريق الوعيد والتخـويف ، أقتلت فلانا بمعنى أنك قتلته قطعا فلا نجاة لك من اللوم أو القتل ، والعلاقة فيه أن الاسـتفهام مقتضى لكون المستفهم أعلـم بحيث لا ينكر بل يحقق ما استفهم عنه فاسـتعمل فى التحقيق الذى لا ينكر توسـعا ومجازا بالملابسة اللزومية فى الجملة .

والآخر : حمل المخاطب على الاقرار والجاؤه الى ذلك الاقرار والزامه اياه لغرض من الأغراض كأن يكون السامع منكرا لوقوع ذلك الفعل من المخاطب تريد أن يسمعه منه من غير قصد لحقيقة الاستفهام

---

(٦٥) الجنى الدانى فى حروف المعانى /٣٢١ ، لابن قاسم المرادى ، ق د/ فخر الدين قباوة ، ط : الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت

المستلزم للجهل أو يكون في السماع منه تلذذ بسبب المراجعة في الخطاب »(٦٦) •

ويقول السيوطى : « حقيقة الاستفهام التقريرى أنه استفهام انكار والانكار نفى وقد دخل على النفى ونفى النفى اثبات • نحو قوله تعالى : « أليس الله بكاف عبده •• »(٦٧) •

وللتقرير صور متعددة ، ولكن أسوق منه ما يخص البحث في سورة « التوبة » ومن هذه الصور :

التقرير بمعنى الحمل على الاقرار :

١ ــ قال تعالى : « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٦٨) •

يقول الخازن :

« الاستفهام فى قوله « ألم يأتهم » للتقرير »(٦٩) •

ويقول أبو السعود : « الاستفهام للتقرير والتحذير »(٧٠) •

---

(٦٦) مواهب الفتاح ٢/٢٩٤ « على شروح التلخيص » دار السرور •

(٦٧) الاتقان فى علوم القرآن ٣/٢٣٧ • ق د/ محمد أبو الفضل ابراهيم • الهيئة المصرية العامة للكتاب •

(٦٨) سورة التوبة آية ٧٠ •

(٦٩) لباب التأويل فى معانى التنزيل ٣/١٢٠ ط الثانية مطبعة مصطفى الحلبى •

(٧٠) ارشاد العقل السليم /٤٢٥ •

وتبعه فى هذا المعنى بعض المفسرين من أمثال الآلوسى وتفسير فتح البيان وغيرهما وقيل : « ان الاستفهام فى هذه الآية للتقرير والتوبيخ ان نزلت فيهم الآيات من الكفار والمنافقين فى عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذكرهم بالأقوام الذين خلوا من قبلهم ووصلت اليهم سيرتهم »(٧١) .

ومن هنا يقال : « ان الاستفهام فى قوله « ألم » خرج عن حقيقته الى غرض مجازى هو « التقرير » بمعنى حمل هؤلاء المنافقين على الاعتراف والاقرار بما حدث للأمم السابقة من عذاب وهلاك لأنهم عصوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وهذا التقرير يكون كالاستشهاد عليهم بأنهم أتاهم نبأ الذين من قبلهم . وفيه أيضا من التوبيخ لهم والتقريع لأنهم لم يتعظوا بما حدث من هلاك الأمم قبلهم ، ولم يأخذوا من ذلك عبرة .

٢ ــ قال تعالى : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم »(٧٢) .

« فى قوله « ألم يعلموا » استفهام يراد به التنبيه على ما يجب أن يعلم ، فالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه ، وانما وجب أن يعلم أن الله يقبل التوبة »(٧٣) .

« الضمير فى قوله « ألم يعلموا » اما للمتوب عليهم ، والمراد

---

(٧١) تفسير المنار . المجلد الخامس ١٠/٤٩٤ .

(٧٢) سورة التوبة آية ١٠٤ .

(٧٣) مجمع البيان فى تفسير القرآن /١٣٤ .

أن يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم ، وأما لغيرهم والمراد به التحضيض عليها »(٧٤) •

وأشار الخازن الى أن : « هذا الاستفهام « ألم يعلموا » مقصود منه التقرير فبشر الله هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم »(٧٥) •

والى هذا المعنى أشار الشيخ فقال :

« الاستفهام فى قوله « ألم يعلموا » للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم »(٧٦) •

من هذا نرى أن : « الضمير فى قوله « يعلموا » عائد على الذين اعترفوا بذنوبهم وتابوا الى الله تعالى وان الاستفهام «الهمزة» فى قوله « ألم » خرج عن حقيقته الى غرض مجازى هو (الاقرار) بمعنى حمل عباده التائبين على الاعتراف والاقرار بأنه ــ عز وجل ــ يقبل توبتهم وصدقاتهم • وفى ذلك اطمئنان لقلوبهم وراحة لنفوسهم مما يزيد من التحضيض والترغيب فى التوبة •

كما أن هذا الاستفهام التقريرى مشوب بالتعجب من الذين يساورهم الشك والخوف فى قبول توبتهم •

٣ ــ قال تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان

---

(٧٤) البيضاوى « ضمن حاشية زادة » ٢/٣٥١ • أسرار التأويل وأنوار التنزيل /٢٠٤ •

(٧٥) لباب التأويل فى معانى التنزيل /١٤٥ •

(٧٦) حاشية الصاوى ٢/١٥٦ •

خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين »(٧٧) .

« فى قوله « أفمن » سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه، والمعنى : أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس على قاعدة هى أضعف القواعد وهو الباطل والنفـاق »(٧٨) .

« ومعنى قوله « أفمن أسس » أى أصل وهو استفهام معنـاه التقـرير »(٧٩) .

وضرب الله هذا المثل لبيان حال الفريقين المؤمنين والمنافقين فى صدق الايمان والنفاق والارتياب .

ولذا يقول صاحب المنار فى قوله « أفمن أسس ... » بيـان مستأنف للفرق بين أهل المسجدين فى مقاصدهما ، منها مسجد الضرار الذى ازدادوا به رجسا الى رجسهم وأهل مسجد التقوى وهم الرسول ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وأنصاره الذين يحبون تمـام الطهـارة لظاهرهم وباطنهم فاسـتفادوا بذلك من محبـة الله لهم ، .. وورد بصيغة استفهام التقرير لما فيه من تنبيه الشعور وقوة التأثير »(٨٠).

نأخذ من ذلك أن : « الاستفهام « الهمزة » فى قوله « أفمن »

---

(٧٧) سورة التوبة آية ١٠٩ .

(٧٨) تفسير النسفى /١٤٦ .

(٧٩) الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٢ .

(٨٠) تفسير المنار ، المجلد السادس /٣٦ .

خرج عن أصل وضعه الى غرض مجازى « الاقرار » بمعنى الحمل على الاعتراف والاقرار بعدم التسوية بين المسجد الذى بنى على أمتن الأسس وأقواها فهو دائم • وبين المسجد الذى بنى على أوهى القواعد وأضعفها فهو عرضة للانهيار •

ويؤدى ذلك الى الاقرار بثبات الاسلام ، وقوته وسعادة أهله بالنعيم الدائم وضعف الباطل واضمحلاله وما يؤدى بصاحبه الى عذاب دائم •

الصيغة الثالثة : « التعجب »

يأتى الاستفهام بمعنى التعجب فى مقام يتعجب فيه المتكلم من مضمون الكلام فالاستفهام معه مستمر ، لأن من تعجب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه كما ان التعبير بأسلوب الاستفهام فى مكان التعجب فيه تعبير عن خلجات النفس وتصوير ما بداخلها ، كما فيه اثارة وتحريك السامعين وجذب انتباههم بأجمل طريق وأوجزه •

وقد جاء هذا الاستفهام فى آيتين من سورة التوبة :

١ ــ قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »(٨١) •

الاستفهام فى قوله « أنى » جاء بمعنى كيف أى كيف يؤفكون •

---

(٨١) سورة التوبة آية ٣٠ •

وللمفسرين فى هذا المعنى آراء :

يقول النسفى : « معنى قوله : « أنى يؤفكون » أى كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان »(٨٢) .

ويقول الزمخشرى : « كيف يصرفون عن الحق باتخاذهم أربابا، أنهم أطاعوهم فى الأمر بالمعاصى ، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الأرباب فى أوامرهم »(٨٣) .

والى هذا المعنى أشار الطبرسى فقال : «كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذى هو الكذب »(٨٤) .

ومما يدل على أن هذا الاستفهام يحمل معنى التعجب قول الرازى : « المعنى : كيف يصدون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا له ولدا ، وهذا التعجب انما راجع الى الخلق »(٨٥) .

وقد ذهب أيضا أحد علماء البلاغة المحدثين الى أن :

« الاستفهام فى قوله « أنى » بمعنى التعجب وجملة « قاتلهم الله » تأكيد للتعجب الذى أفادته « أنى » »(٨٦) .

---

(٨٢) تفسير النسفى /١٢٤ .

(٨٣) الكشاف ١٨٦/٢ .

(٨٤) مجمع البيان فى تفسير القرآن /٤٨ .

(٨٥) التفسير الكبير ٣٠٦/١٦ .

(٨٦) أساليب الاستفهام فى القرآن الكريم /٢٥٤ .

خلاصة هذه الآراء أن :

لفظ الاستفهام « أنى » جاء هنا بمعنى « كيف » ، وقد خرج عن حقيقته الى غرض بلاغى هو « التعجب » أى التعجب من كفرهم « اليهود والنصارى » فالتعجب راجع اليهم ، لأن الله تعالى لايتعجب من شىء بمعنى : كيف يكفرون بالله ــ عز وجل ــ مع وضوح الدلائل على وجوده وظهور المعجزات على أيدى رسله ، حيث ان كل رسول أرسله سبحانه وتعالى قد جاء بمعجزة تدل على وجود خالق الكون أولا ، وعلى نبوته ثانيا ، فكيف بعد كل هذا وذاك يظلون على جهلهم •

٢ ــ قال تعالى : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون »(٨٧) •

قوله « وطبع » هو استفهام بمعنى أو طبع الله على قلوبهم فلأجل هذا الطبع لا يفقهون ولا يتدبرون ولا يتفهمون ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والضلال »(٨٨) •

ويقول الطاهر : « هو استئناف قصد منه التعجب من دناءة نفوسهم وقلة ايمانهم بأنهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا تبعا للنساء »(٨٩) •

---

(٨٧) سورة التوبة آية ٨٧ •

(٨٨) البحر المحيط ٥/٨٣ •

(٨٩) التحرير والتنوير ١٠/٢٨٦ •

ومن هنا يقال ان :

هذا الاستفهام استفهام ضمنى بمعنى « أو طبع » وقد خرجت الهمزة فيه الى غرض بلاغى « التعجب » بقصد تأنيب هؤلاء المنافقين والتعجب من أن الله تعالى أغلق قلوبهم نحو الخير لسوء اختيارهم وانحدارهم وراء شهواتهم ولذاتهم •

وبالتالى : فهم لا يدركون ما فى الايمان وما فى الجهاد من خير وسعادة •

الصيغة الرابعة « العتاب »

العتاب : هو أحد المعانى المجازية التى يخرج اليها الاستفهام عن حقيقته وقد جاء فى هذه السورة الكريمة فى آية عتاب ، حيث عاتب سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام على فعل شىء لم يؤمر به •• واليك نص الآية الكريمة :

قال تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين »(٩٠) •

الاستفهام فى قوله « لم » بمعنى الانكار فدل على أن ذلك الاذن كان معصية وذنبا ، كما قيل اثنان فعلهما الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يؤمر بهما •

اذنه للمنافقين ، وأخذه الفداء من الأسارى فعاتبه سبحانه وتعالى »(٩١) •

---

(٩٠) سورة التوبة آية ٤٣ •

(٩١) التفسير الكبير للرازى ١٦/ ٧٣٠ •

ويقول أبو حيان : « ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك ، بل كان له أن يفعل وألا يفعل حتى ينزل عليه الوحى »(٩٢) .

وأشار الى هذا المعنى أيضا أحد المفسرين فقال :

« انه لطف الله برسوله فهو يعجل له بالعفو قبل العتاب ، حيث تدارى المتخلفون خلف اذن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهم بالقعود حين قدموا له المعاذير ، وقبل أن ينكشف صدقهم من كذبهم فى هذه المعاذير أذن لهم وكانوا سيتخلفون عن الركب حتى ولو لم يأذن لهم فعندئذ تتكشف حقيقتهم ويسقط عنهم ثوب النفاق،ويظهرون للناس على طبيعتهم . ولا يتوارون خلف اذن الرسول »(٩٣) .

وكونه تعالى يعفو عنه قبل أن يعاتبه ، فهذا دليل على رحمته بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه أذن لهم بحسن نية ولم يكن يعلم بخداعهم وكذبهم .

وإذا يقول الطاهر :

« وافتتاح العتاب بالإعلام بالعفو اكرام عظيم ولطافة شريفة فأخبره بالعفو قبل أن يباشره بالعتاب ، وفى هذا الافتتاح كناية عن خفة موجب العتاب لأنه بمنزلة أن يقال ما كان ينبغى »(٩٤) .

---

(٩٢) البحر المحيط ٥/٤٧ .

(٩٣) فى ظلال القرآن الكريم بقلم سيد قطب ٣/١٦٢ . المجلد الثالث دار الشروق .

(٩٤) التحرير والتنوير ١٠/٢١٠ .

هذا الى جانب بعض « الكتب البلاغية »(٩٥) .

التى أيدت خروج الاستفهام « لم » فى هذه الآية الكريمة الى غرض بلاغى هو « العتاب » .

يفهم من ذلك أن :

الاستفهام « لم » خرج فى تلك الآية عن أصل وضعه الى غرض مجازى « العتاب » أى انكار الفعل الواقع مع العتاب ، حيث عاتبه سبحانه وتعالى رسوله الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما أذن بالقعود الذين أرادوا التخلف عن غزوة تبوك دون أن يوحى اليه بشىء من هذا القبيل .

ومن هنا : كان عتاب الله له ، غير أنه عتاب يصحبه اللطف فى الانكار أو اللوم .

الصيغة الخامسة : « الترغيب والتحضيض »

قال تعالى : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين »(٩٦) .

---

(٩٥) من بلاغة القرآن د/ احمد بدوى /١٦٤ . دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

أساليب الاستفهام /٢٥٨ . الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية فى القرآن الكريم /٢٤٩ د/ صباح دراز ط : الأولى . طبع الأمانة .

(٩٦) سورة التوبة آية ١٣ .

جاء فى هذه الآية الكريمة استفهامان :

الأول : « الا تقاتلــون » وقــد خــرج الى معنى « الترغيب والتحضيض » وهو الذى نحن بصدده •

والثانى : « أتخشونهم » وسيذكر فيما بعد •

يقول النسفى : « فى الاستفهام الأول « ألا تقاتلون » •

« وبخهم سبحانه وتعالى فى ذلك بترك مقاتلتهم وحضهم عليها بموجب الحض عليــه من نكث العهــد واخراج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، والبدء بالقتال من غير موجب »(٩٧) •

وأشار الى هذا المعنى الزمخشرى ، فقال :

« ان الهمزة دخلت على « لا تقاتلون » تقرير بانتفاء المقاتلة ، ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة »(٩٨) •

وقيل : « الألف فى قوله « ألا تقاتلون » للاستفهام ، والمــراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضــوا عهودهم التى عقــدوها »(٩٩) •

والسياق العام للآية :

يوحى أيضا بالانكار أى انكار على المؤمنين فعلهم وهو ترددهم فى قتال المشركين وفى هذا زيادة فى التحريض على قتالهم •

---

(٩٧) تفسير النسفى /١١٨ •

(٩٨) الكشــاف /١٧٧ •

(٩٩) مجمع البيان فى تفسير القرآن /٢٤ •

ولذا يقول الشـــهاب :

« ان الهمزة دخلت على النفى للانكار ، والاستفهام الانكارى فى معنى النفى ونفى النفى اثبات على أبلغ وجه وآكده لأنه اذا كان الترك مستقبحا منكرا أفاد بطريق برهانى أن ايجاده أمر مطلوب مرغوب فيه فيفيد الحث والتحريض عليه »(١٠٠) •

يقول الشيخ السبب فى هذا التحضيض :

« يرجع الى اتصافهم بصفات ثلاث كل واحدة منها تقتضى القتل وهى نقض العهد ، اخراج الرسول ، قتل الحلفاء •

وبالتالى فان التحضيض اشتمل على الأمر مع التوبيخ »(١٠١) •

هذا الى جانب بعض « الكتب البلاغية »(١٠٢) •

التى أشـــارت الى خروج الاســـتفهام « ألا تقـــاتلون » لمعنى « الترغيب والتحضيض » •

خلاصة ذلك أن :

الاستفهام « الهمزة » فى قوله « ألا تقاتلون » خرج عن معناه

---

(١٠٠) حاشية الشهاب ٤/٣٠٧ – روح المعانى ١٠/٥٤

(١٠١) حاشية الصـــاوى /١٢١ •

(١٠٢) الاتقان فى علوم القرآن ٣/٢٣٨ • معجم المصطلحات البلاغية ١/١٨٧ ، د/ احمد مطلوب – مطبعة المجمع العلمى العراقى • من بلاغة القرآن /١٦٥ •

الحقيقى الى غرض مجازى « الترغيب والتحضيض » فهو تحضيض للمؤمنين على قتال المشركين الذين ينقضون عهودهم وتحذير لهم من التراخى فى مبادرتهم بالقتال مؤكدا ما يجب على المجاهدين من اقبالهم عليهم بشدة وغلظ •

الصيغة السادسة « النهى »

قال تعالى : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين »(١٠٣) •

سبق وأن عرض الاستفهام الأول فى هذه الآية الكريمة « ألا تقاتلون » •• أما الثانى فهو فى قوله : « أتخشونهم » •

وفى ذلك يقول النسفى :

« فى قوله « أتخشونهم » توبيخ على الخشية منهم »(١٠٤) •

ويقول الزمخشرى : « فى قوله « أتخشونهم » تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها »(١٠٥) •

وفى الآية ايماء : الى أن المؤمن يجب أن يكون أشجع الناس وأعلاهم همة ولا يخشى الا الله تعالى •

---

(١٠٣) سورة التوبة آية /١٣ •

(١٠٤) تفسير النسفى /١١٨ •

(١٠٥) الكشاف /١٧٨ •

ولذا قيل : « معنى « أتخشونهم » أى أتخافون أن ينالكم منهم مكروه فى قتالهم لفظه استفهام •

والمراد به : تشجيع المؤمنين ، وفى ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقريع والتشجيع »(١٠٦) •

كما جاء أن : « الاستفهام فى قوله « أتخشونهم » للتوبيخ حيث أقيم فيه السبب مقام المسبب ، والعلة مقام المعلول ، لأن المنكر فى الحقيقة ترك القتال لخوف العدو »(١٠٧) •

وقد ذهب السيوطى(١٠٨) :

الى أن الاستفهام « أتخشونهم » فى هذه الآية خرج الى معنى مجازى « النهى » •

من هذا نرى أن :

الاستفهام « الهمزة » فى قوله « أتخشونهم » خرج عن أصل وضعه الى غرض بلاغى « النهى » حيث نهى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن أن يخشوا ويخافوا من الكفار والمشركين ، فان الخشية لا تكون الا من الله تعالى •

---

(١٠٦) مجمع البيان فى تفسير القرآن ١/٢٤ •

(١٠٧) حاشية الشهاب ١/٣٠٨ •

(١٠٨) الاتقان فى علوم القرآن ٢/٢٣٨ • معترك الاقران فى اعجاز القرآن ١/٤٣٧ ق : د/ محمد على البيجاوى ، دار الفكر العربى •

وفى هذا النهى :

من النفى والتوبيخ على فعلهم بمعنى لا ينبغى أيها المؤمنون أن يقع منكم هذا الخوف ، وذلك الرهبة من المشركين ، فهو توبيخ على ترك مقاتلتهم ، وفى الوقت نفسه تقرير بما يوجب الرغبة فى القتال ، وتشجيع المؤمنين .

وبالتالى : فان هذا المعنى يعتبر زيادة فى الترغيب والتحضيض، والحث على قتال الكفار .

الصيغة السابعة : « النفى »

١ ــ قال تعالى : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون »(١٠٩) .

هذه الآية الكريمة تبين مدى كراهية المنافقين للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمؤمنين ، فاذا أنعم الله على المسلمين بالنصر والغنيمة فان هذا يسؤوهم ويحزنهم وان أصابهم بمصيبة فرحوا وأعرضوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ولذا يقول الطبرسى :

قوله « هل » ان كان حرف استفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص المؤدى بصاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ، ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقاوته وسعادة خصمه »(١١٠) .

---

(١٠٩) سورة التوبة آية ٥٢ .

(١١٠) مجمع البيان فى تفسير القرآن ٧٥/ .

وقيل : اللفظ استفهام ، والمعنى توبيخ(١١١) .

وجاء أيضا : أن فى قوله « قل هـل تربصون .. » الاستفهام للتقرير والتحقيق والجملة تفيـد الحصر ، اى قـل لهم أيضا هـل تربصون بنا أيها الجاهلون الا احدى الحسنيين العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب وفضلاها وهما النصر والشهادة »(١١٢)

وقد أشار الطاهر الى هذا المعنى ، فقال :

« الاستفهام مسـتعمل فى النفى بقرينة الاسـتثناء ، والمعنى توبيخ لهم وتخطئته لتربصـهم لأنهم يتربصون بالمسلمين أن يقنطـوا ويغفلون عن احتمال أن ينصروا »(١١٣) .

قال أحد علماء البلاغة ان :

« الاستفهام « هل » أفاد النفى والتوبيخ والتعريض حيث أدى الى التعريض بخسارتهم »(١١٤) .

من هذا نرى :

الاستفهام « هـل » خرج فى هـذه الآية الكريمة عن معنـاه الحقيقى الى غرض بلاغى « النفى » أى نفى اعتقاد المنافقين ورده

---

(١١١) الجامع لأحكام القرآن ٨/١٦٠ . فتح البيان فى مقاصد القرآن ١٤٣ . مطبعة العاصمة .

(١١٢) تفسير المنار . المجلد الخامس ١٠/٤١٤ .

(١١٣) التحرير والتنوير ١٠/٢٢٤ .

(١١٤) اساليب الاستفهام فى القرآن الكريم /١٠٤ .

عليهم مع توبيخهم لأنهم اعتقدوا أن المسلمين باستشهادهم أصابهم مكروه وهزيمة ساحقة وخيبة أمل ، فى حين أن الاستشهاد بالنسبة للمؤمنين نصر عظيم يؤول الى جنة الخلد .

فالنصر والشهادة للمسلمين سياق فوز وسعادة ..

قال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »(١١٥) .

معنى قوله « ومن أوفى .. » أى لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى .. وهو يتضمن الوفاء بالوعد والوعيد ولا يتضمن وفاء البارى بالكل فأما وعده فللجميع وأما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين وببعض الذنوب »(١١٦) .

ويقول أبو حيان : « فى قوله « ومن أوفى » استفهام على جهة التقرير أى لا أحد أو فى ، ولما أكد الوعد بقوله « عليه حقا » أبرزه هنا فى صورة العهد الذى هو آكد وأوثق من الوعد اذ الوعد فى غير حقه تعالى جائز اخلافه »(١١٧) .

والسياق العام للاستفهام :

يوحى بتبكيت المخاطب وتوبيخه اذا اعتقد أن هذا العهد محتمل الوفاء به وعدمه .

---

(١١٥) سورة التوبة آية ١١١ .

(١١٦) الجامع لأحكام القرآن ٣١٠٨/٤ . دار احياء التراث العربى بيروت – لبنان .

(١١٧) البحر المحيط ١٠٣/٥ .

ولذا يقول أبو السعود : « ان الغرض من الاستفهام انكار أن يكون أحد أوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لانكار المساواة أو نفيها • ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا »(١١٨) •

ويقول الشيخ :

« قوله « ومن أوفى » استفهام انكارى بمعنى النفى أى لا أحد أوفى منه — جلّ وعلا — »(١١٩) •

وذهب أحد علماء البلاغة الى أن :

« الاستفهام فى قوله « ومن أوفى » يفيد : « النفى »(١٢٠) •

وخلاصة هذه الآراء نقول ان :

الاستفهام « من » خرج فى هذه الآية الكريمة عن أصل وضعه الى غرض بلاغى هو « النفى » أى نفى أن يكون أحد أبلغ وأفى منه تعالى فى الكرم والعطاء فهو أكرم من كل كريم والمتصف بالكمال المطلق ، وانكار على من توسوس اليه نفسه ان الله ممكن أن يفى بوعده أو أن يساويه أحد فى الوفاء بالعهد •

---

(١١٨) ارشاد العقل السليم ٤/٤٥١ •

(١١٩) حاشية الصاوى ٢/١٥٩ •

(١٢٠) أساليب الاستفهام فى القرآن ١١٩/ •

« الخاتمـــة »

فى البحث عن صـــور الاستفهام وفـــوائده المجـــازية فى هذه السورة الكريمة « التوبة » أشرت الى أن له معان بلاغية كثيرة منها :

الانكار ، والتقرير ، والتعجب ، والعتاب ، والنهى .. وغيرها من المعانى المتعددة وكيف لا تتعدد وهى مشاعر وأحاسيس تنتج عن الخطاب الحار ، والحديث الجاد والمحاورة العنيفة ، وتلمس ذلك عند الـــكلام عن معنى الانكار ، فهو توبيخ للمشركين والمنافقين ، وانكار على فعلهم .

كقـــوله تعالى : « أجعلتم ســـقاية الحاج وعمـــارة المســـجد الحـــرام ... » .

بلاغة الاســـتفهام فى هذه الآية الكريمة : أنه تعالى أنكر على المشركين أن يسووا بين ذلك وما يقومون به من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحكم بأن المؤمنين أعظم درجة عنده .

أيضا أن الانكار قد يحمل نصحا وارشادا عندما يوجه الى جماعة وفيها المخلصون كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الأرض » .

فعلى الرغم من أن جماعة من المسلمين لبوا الدعوة وســـارعوا الى الجهـــاد فى سبيل الله دون أن يتثـــاقلوا ابتغاء مرضاته تعـــالى الا أنه سبحانه جاء بهذا الانكار التوبيخى ليكون تعليما عاما وارشادا شاملا لجميع المسلمين فى كل مكان وفى كل عصر بأنه يجب مسارعتهم

الدعوة الجهـاد وعدم الاخـلاد الى الأرض وبذل كل ثمين وغـال في سـبيل الله .

وهكذا : فان اختيار السياق القرآني للاسلوب المنـاسب في عرض المعنى دليل على أحكامه وبلاغته ، ومظهر من مظاهر اعجازه.

وقد استنبطت هذه الحقائق العلمية من خلال المراجع والمصادر الصحيحة والتأمل الطويل في كتاب الله تعالى .

وأتمنى من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت في هذا البحث. وحسبي أنى قد بذلت فيه من الجهد ، وأسأل الله ان يكافأني عنـه خيرا في ميزان حسناتي ... انه سميع قريب .

أهم مراجع البحث ومصادره

القرآن الكريم • جل من أنزله ــ

١ ــ الإتقان فى علوم القرآن • تأليف الحافظ جلال الدين السيوطى (٩١١هـ) تحقيق : د/ محمد أبو الفضل ابراهيم • الهيئة المصرية العامة للكتاب •

٢ ــ الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية فى القرآن الكريم للدكتور / صباح عبيد دراز • الطبعة الأولى « ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م » مطبعة الأمانة •

٣ ــ أسرار التأويل وأنوار التنزيل • تأليف القاضى ناصر الدين البيضاوى الشيرازى التزام عبد الرحمن محمد بميدان الأزهر الشريف بمصر • الطبعة الأولى بالمطبعة البهية المصرية •

٤ ــ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، تأليف القاضى أبى السعود بن محمد بن الحنفى،حقوق الطبع بهذا التصحيح وبهذا الوضع محفوظة الى دار طباعة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية •

٥ ــ البحر المحيط ، وبهامشه تفسيران جليلان لأبى حيان ، المجلد الرابع والخامس الناشر مكتبة النصر الحديثة ، الرياض • المماكة العربية السعودية ص•ب : ٥٣٦ •

٦ ــ البرهان فى علوم القرآن تأليف بدر الدين الزركشى «٧٩٤هـ» تحقيق د/ محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى • دار احياء الكتب العربية • عيسى الحلبى •

٧ ــ التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الكريم للدكتور /

عبد العظيم المطعنى • الجزء الأول • الناشر : المكتبة التوفيقية بالقاهرة •

٨ ــ التفسير الكبير • للامام الفخر الرازى الطبعة الثانية • دار الكتب العلمية • طهران •

٩ ــ تفسير النسفى للامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفى • الجزء الثانى • دار احياء الكتب العربية •

١٠ ــ تفسير الخازن المسمى ، لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى • الشهير بالخازن • الجزء الثالث • الطبعة الثانية • مصطفى الحلبى وأولاده •

١١ ــ تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء العشرة الأولى • تأليف : الامام الأكبر : محمود شلتوت • دار الشروق • الطبعة الثامنة •

١٢ ــ تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار • تأليف السيد / محمد رشيد رضا المجلد الخامس ج ١٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب •

١٣ ــ التحرير والتنوير • تأليف : سماحة العلامة الشيخ : محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر •

١٤ ــ ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للرمانى • والخطابى والجرجانى تحقيق : د/ محمد خلف الله • د/ محمد زغلول سلام • طبعة دار المعارف مصر ط : الثانية •

١٥ ــ المجنى الدانى فى حروف المعانى • تأليف الحسن بن قاسم المرادى • تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، الأستاذ محمد نديم

فاضل ، الطبعة الثانية • منشورات دار الآفاق الجديدة • بيروت •

١٦ ــ حاشية الدسوقى الجزء الثانى « على شروح التلخيص » طبع : دار السرور •

١٧ ــ حاشية محيى الدين الشيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى الجزء الثانى المكتبة الاسلامية •

١٨ ــ حاشية الشهاب المسماه ، عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى الجزء الرابع ، دار صادر • بيروت •

١٩ ــ حاشية الصاوى على تفسير الجلالين للمغفور له أحمد بن محمد الصاوى المالكى الجزء الثانى • الطبعة الأخيرة (١٣٦٠هـ ــ ١٩٤١م) •

٢٠ ــ دلائل الاعجاز • تأليف الشيخ / أبى بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجانى تعليق : محمد عبد المنعم خفاجى • القاهرة •

٢١ ــ الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس • تحقيق السيد / أحمد صقر • طبع : عيسى الحلبى •

٢٢ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لمفتى بغداد • شهاب الدين محمود الآلوسى البغدادى • دار الطباعة المنيرية بمصر •

٢٣ ــ عروس الأفراح تأليف : بهاء الدين السبكى • الجزء الثانى « على شروح التلخيص » دار السرور •

٢٤ ــ فتح البيان فى مقاصد القرآن للعلامة المحقق ، صــديق حسن خان • الناشر : عيد على محفوظ•مطبعة العاصمة • القاهرة•

٢٥ ــ الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ، تحقيق : حسام الدين المقدسى • طبع : دار الكتب العلمية • بيروت • لبنان •

٢٦ ــ فى ظلال القرآن الكريم • بقلم : سيد قطب ، المجلد الثالث، طبعة جديدة مشروعة ، وتنشر للمرة الأولى • دار الشروق •

٢٧ ــ القرآن المعجزة الكبــرى • تأليف الامام محمد أبو زهــرة • مطبعة : دار الفكر العربى •

٢٨ ــ الكشاف : عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل• تأليف : أبى القاسم جار الله محمــود بن عمر الزمخشرى • الخــوارزمى • الجزء الثانى •

٢٩ ــ لسان العرب • تأليف : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ابن منظور طبع : دار المعــارف •

٣٠ ــ مجمع البيان فى تفسير القرآن • تأليف الشــيخ / أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى • نشر : دار مكتبة الحياة •

٣١ ــ مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب الجــزء الثانى « على شروح التلخيص » دار السرور •

٣٢ ــ النظم الفنى فى القرآن • تأليف : عبد المتعال الصعيدى•طبع : مكتبة الآداب النموذجية بالحلمية الجديدة •